



اعتقار

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري

(١٦١هـ) رَحِمَهُ اللهُ

وفيه:

- ١ - مجمل اعتقاد أهل السنة والأثر
- ٢ - التحذير من مذاهب أهل البدع والأهواء
- ٣ - إثبات مقادير الله تعالى
- ٤ - رسالة في اتباع الأمر الأول والأمر بالزهد في الدنيا

الرسالة الرابعة

التمسك بالأمر الأول والزهد في الدنيا

مجمل الرسالة:

أصل هذه الرسالة جوابٌ أرسله سفيان الثوري رحمته الله لعباد بن عباد الزاهد العابد رحمته الله لما طلب منه أن يكتب له بذكر خصال وخلال من يصحب من أهل زمانه.

فكتب له سفيان رحمته الله بهذا الوصية النافعة الماتعة التي وصف فيها أهل زمانه، وحذره منهم، وأوصاه فيها بالتمسك بالأمر الأول الذي كان عليه سلف الأمة، وأوصاه بالزهد في الدنيا والتقلل منها، ومن كثرة مخالطة أهلها، ولزوم العزلة والخمول والحذر من الدخول على الأمراء، وما لبس الشيطان على كثيرٍ من القراء في هذا الباب.

وغير ذلك مما ستقف عليه فيها.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الوصية من كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم رحمته الله (٨٧/١).

❦ قال ابن أبي حاتم رحمته الله في «الجرح والتعديل»:

رسالة الثوري إلى عبّاد بن عبّاد

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل السلال، نا الفريابي، قال:
كتب سفيان بن سعيد إلى عبّاد بن عبّاد، فقال:
من سفيان بن سعيد إلى عبّاد بن عبّاد؛ سلام عليك،
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد،

١ - فإني أوصيك بتقوى الله، فإن اتقيت الله ﷻ كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً.

٢ - سألت أن أكتب إليك كتاباً أصفُ لك فيه خلافاً تصحب بها أهل زمانك، وتؤدّي إليهم ما يحقّ لهم عليك، وتُسأل الله ﷻ الذي لك. وقد سألت عن أمرٍ جسيم، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحده، وكيف يستطاع ذلك؟ وقد كدّر هذا الزمان أنه ليشبه الحق والباطل، ولا ينجو من شرّه إلا من دعا بدعاء الغريق.

فهل تعلم مكان أحده هكذا؟

٣ - كان يقال: يوشك أن يأتي على الناس زمانٌ لا تقرّ فيه عين حكيم.

٤ - فعليك بتقوى الله ﷻ، والزم العزلة، واشتغل بنفسك، واستأنس بكتاب الله ﷻ، واحذر الأمراء، وعليك بالفقراء والمساكين والدنوّ منهم، فإن استطعت أن تأمر بخيرٍ في رفقٍ فإن قبِلَ منك حمدت الله ﷻ، وإن رُدَّ عليك أقبلت على نفسك فإن لك فيها شغلاً.

٥ - واحذر المنزلة^(١) وحبها، فإن الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا.

٦ - وبلغني أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يتعوذون أن يدركوا هذا الزمان، وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلة علم وبصر، وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير مع كدر من الزمان، وفساد من الناس.

٧ - وعليك بالأمر الأول والتمسك به، وعليك بالخمول، فإن هذا زمان خمول، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والطمع فإن الطمع فقر، واليأس غنى، وفي العزلة راحة من خلل السوء.

وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة.

٨ - وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

٩ - وإياك والأمراء والذنو منهم وأن تخالطهم في شيء من الأشياء.

١٠ - وإياك أن تُخدع فيقال لك: تشفع فتد عن مظلوم، أو مظلمة، فإن تلك خدعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلماً.

١١ - وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

١٢ - وما كُفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يُحب أن يعمل بقوله، وينشر قوله، أو يُسمع منه.

(١) المراد بها: الجاه والقدر والمكانة عند الناس.

١٣ - وإياك وحبّ الرئاسة؛ فإن من الناس من تكون الرئاسة أحبّ إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يُبصره إلاّ البُصراء من العلماء السماسرة^(١).

١٤ - واحذر الرياء، فإن الرياء أخفى من ديبب النمل.

١٥ - وقال حذيفة: سيأتي على الناس زمان يُعرضُ على الرجل الخير والشرّ فلا يدري أيّما يركب.

١٦ - وقد ذكّر عن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال يدُ الله ﷻ على هذه الأمة وفي كنفه وفي جواره وجناحه ما لم يَمِلْ قرائهم إلى أمرائهم، وما لم يبرّ خيارهم أشرارهم، وما لم يُعظم أبرارهم فجّارهم، فإذا فعلوا ذلك؛ رفعها عنهم، وقذف في قلوبهم، وأنزل بهم الفاقة، وسلّط عليهم جبارتهم فساموهم سوء العذاب».

وقال: «إذا كان ذلك لا يأتيهم أمر يضحجون منه إلاّ أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك»^(٢).

١٧ - فليكن الموت من شأنك ومن بالك، وأقلّ الأمل وأكثر ذكر الموت، فإنك إن أكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دُنْيَاكَ.

١٨ - وقال عمر رضي الله عنه: أكثرُوا ذكر الموت، فإنكم إن ذكرتموه في كثيرٍ قلّله، وإن ذكرتموه في قليلٍ كثّره، واعلموا أنه قد حان للرجل يشتهي الموت.

أعاذنا الله وإياك من المهالك، وسلك بنا وبك سبيل الطاعة.

(١) المراد بالسَّماسرة هنا: العالم الحاذق المتبصر في الأمور. «تاج العروس» (٤٧٦/١٠).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢١) عن الحسن مرسلاً، وإسناده إليه ضعيف.